قراءة

جردة حساب لسيرة لاعب على التناقضات

إسماعيل كاداريه وامتحان الشمولية

في كتابه الجديد، يقرأ المؤرّخ الكوسوفي السوري محمد م. الارناؤوط علاقة الأدب بالسلطة من خلال مسيرة الروائي الألباني الذي قفز إلى الغرب ما إن غرقت سفينة نظام بلاده

سومر شحادة

كتاب الأكاديمي والمؤرّخ الكوسوفي السوري محمد م. الارناؤوط «إسماعيل كاداريه: مجاورة الدكتاتورية والعالمية، مقاربات في الأصل والواقع المترجَم» بحثٌ يسعى لاستيضاح العلاقة بين الدكتاتورية والعالمية عبر نقاش فرضية تأثير موقف الروائي الألباني إسماعيل كاداريه (1936 - 2024) من النظام الشمولي في بلده وعلاقته الغامضة مع رأس النظام أنور خوجا (1908 - 1985)؛ في استقبال «نوبل للأدب» له، مع وصفه بالمرشّح المُزمن للجائزة منذ عام 1978.

الكتاب الصادر حديثاً عن دار «مرفأ للثقافة والنشر» في بيروت، يبحث أيضاً هذه الفرضية في الأوساط الثقافية داخل ألبانيا، في دوائر النظام ولدى معارضيه. ثمّ في أدب كاداريه نفسه سواء باختياره موضوعات رواياته، أو باستخدام الترميز، والاستعانة بما يعرضه الأدب بين السطور لما لا يستطيع الكاتب قوله بكلمات واضحة في المتن. وذلك بحكم إقامة كاداريه في ألبانيا، مع الإشارة إلى امتلاكه حقّ حرّية السفر، على عكس زملائه الكُتّاب الذين قضوا في السجون.

أكثر من هذا، كان نظام خوجا يدفع لتسويق أعمال كاداريه في اللغات الأجنبية. وممّا يذكره الكتاب في هذا السياق حديث الروائي المصري يوسف القعيد عن لقاء جمعه بالسفير الألباني في مصر منتصف الثمانينيات، وطلب السفير منه اقتراح أسماء مترجمين لترجمة كاتب ألبانيا إسماعيل كاداريه إلى العربية، وبتعبير السفير: «الزعيم أنور خوجا له اهتمام بنتاجه الروائي، ويتصوّر أن رواياته يمكن أن تصل إلى العالمية».

إلا أنّ أمراً في سياق كل كاتب، هو ما يُحدّد مصير أعماله، والشكل الذي يراه فيه القرّاء ويستقرّ في أذهانهم عنه، أظنّ هذا الأمر يأتي من خصوصية الكاتب بمجمل مواقفه، وخصوصية أعماله الفنية نفسها أولاً. إلا أنّ الصورة التي يصنعها أحدٌ عن كاتب ما، لا تأتي فقط من أعماله، بل من الطريقة التي يصدّر فيها نفسه، إلى جانب مواقفه من قضايا عصره. ونستطيع تجنّب وصف كاداريه بالمتناقض، خاصة أنّ بحث الارناؤوط لا يسعى إلى إدانته، إنما كان صاحب موقف مُركّب شديد التعقيد، ويصعب فهمه خارج سياقه؛ بهويته الألبانية وبطبيعة النظام الرهيب الذي عاش في ظلّه.

كاداريه تُرجِمَ بكثرة إلى العربية مع وجود عدّة ترجمات في عدّة بلدان للرواية نفسها، إلا أنّه لم يزُر البلدان العربية على الرغم من دعوته المتكرّرة. حتى إنّه عندما زار المنطقة العربية؛ جاء زائراً لسرطان هذه المنطقة، للكيان الدخيل على النسيج العربي. من غير أن يسعى المقال إلى ربط موقفه من كيان الاحتلال بموقفه من النظام الشمولي في بلده، ببساطة لأنّ كاداريه كان ينظر إلى «إسرائيل» من موقعه، لا من زاويتنا نحن. لكن أذكر هذا التقارب في الموقف على سبيل العَنَة خفية أحاقت بكاداريه منعت عنه «جائزة نوبل»، كما زعم خصومه، أو بصورة أدقّ؛ ضحاياه. وجعلت استقباله لدى القارئ استقبالاً مشكوكاً بنزاهة قائله. ويسجّل الكتاب صمت كاداريه عن اعتقال زملائه والتنكيل بهم، ويسجّل أنّ كاداريه لم يكن يتوانى عن تلفيق شائعة كي يؤذي كاتباً آخر. وكان النظام يعتمد على الكتبة أو الكُتّاب لتشويه سمعة الكُتّاب الكبار ممّن يشك بولائهم المطلق له. تقاطعات عديدة تذكّر القارئ بالكاتب التشيكي ميلان كونديرا (1929 - 2023)، ليست الجائزة الإسرائيلية «جائزة أورشليم» التي حصل عليها كلاهما (كونديرا عام 1985، وكاداريه عام 2015). لكن أسوة بكاداريه؛ شاعت مقولة عن ارتباط كونديرا بالنظام الشيوعي في بلده ووشايته برفاقه، شائعة منعت عنه «جائزة نوبل» من جهة، كما يُقال، وأخّرت تصالحه مع التشيك بلده.

أيضاً كاداريه سيخرج من بلده، إلا أن موقفه أكثر انتهازية من موقف كونديرا؛ فكاداريه قفز من «السفينة الغارقة» وسافر إلى فرنسا، حيث بدأ انتشاره العالمي بصورة تناقض جهد السنوات السابقة، كلها، بما فيها جهود نظام خوجا لتصدير الكاتب. حتى لكأنّ جهود كاداريه منذ خروجه من ألبانيا، كانت لهدم ما بناه بمعونة نظام خوجا، أو البناء عليه بناءً يدين النظام القمعي بالتركيز على نفسه

ماكسيميليانو باجناسكو يُنجز جدارية لإسماعيل كاداريه في تيرانا. 3 أيلول/سبتمبر 2024 (Getty)

رغم ارتباطه بنظام بلاده صدّر نفسه للغرب كـ«ضحية»

شكّل مع أنور خوجا ثنائية نفعية قوامها السلطة والنجومية

كـ«ضحية» للنظام السابق، كما أخذ يبحث عن مكانة لألبانيا داخل الثقافة المسيحية الأوروبية، ويعطي اعتباراً أقلّ لأكثريتها المسلمة.

الكتاب بجهود الارناؤوط جردة حساب مع ذاكرة هذا الكاتب. وفي مواقع كثيرة يستنتج القارئ أن كاداريه وضع الأدب فوق كل ميزان، الأمر الذي أودى به في مسالك بدا أنّ كاداريه لم يأخذ له الاعتبار الذي كان يأخذه لأدبه. ربما ما كان يعانيه ليست الدكتاتورية، ولا الصراعات الرهيبة التي تدفع المبدعين إلى خوضها مع أنفسهم، وضدّ أنفسهم، وهُم في عهدة أنظمة صمّاء، شديدة الرقابة، وماخوذة بالصوت الواحد. أخال أنّ ما كان يعانيه؛ انتهازية الأديب الذي باع روحه لشيطان الكتابة.

إذاً، الكتاب بحثٌ في علاقة الأدب بالسلطة، وإن كان بالإمكان الإبداع في ظل تحكّم الأيديولوجيا. وكان على كاداريه الاختيار؛ إما الإبداع مع عدم التنازل والذهاب إلى السجن، أو الإبداع مع بعض التنازل والاستمرار في «العطاء للشعب». خيار كاداريه كان واضحاً بالكتابة مع التنازل للسلطة، وهو في الحقيقة ليس تنازلاً بقدر ما هو احتيال، بكتابته نوعين؛ نوع نشره في عهدة خوجا، ونوع نشره بعد انهيار النظام. وكان كاداريه يستغلّ رؤية خوجا فيه ما يحبّه ويتقنه، وهو الأدب. كما رأى كاداريه في خوجا ما أحبّه ونقصه، وهو السلطة والنجومية.

يستقبل القارئ أفكار الكتاب في عصر يضغط على الكاتب، لأن يكون لديه موقفٌ جذري من قضايا عصره. وإن كان كونديرا وكاداريه هما الحالتان الأوضح في النظام الشمولية التي أتاح انهيارها الحديث عن العلاقة المعقّدة التي بدا أنّ أحد طرفيها كان يقصم الآخر. إلا أنّ أنظمة شمولية ما تزال قائمة تمنع هذا الكشف الذي يدفع إلى التصالح وإنصاف الذاكرة. ويغيب هذا الكشف عن الثقافة العربية، ليس لعلّة في المشتغلين في الثقافة، إنّما لعلّة في الأمل؛ أمل أن يكون المرء نفسه، بالفعل، في وطنه.

(روائي من سورية)

هكذا تُصنع الشُّهرة!

يُمكن لقارئ كتاب المؤرّخ الكوسوفي السوري محمد م. الارناؤوط استيضاح العلاقة بين الديكتاتورية والعالمية، كما يرد في عنوانه، وان يتبيّن من خلاله كيف يُمكن لروائي مثل كاداريه ان يتصدّر المشهد الروائي والمسرح السياسي لنظام ديكتاتوري يدعم ويموّل ترجمة اعماله الى لغات العالم باعتبارها ترّوج للالبانيا الخوجوية (1945 - 1985)، ثم يُعاد تفسيرها بعد سقوط الديكتاتورية باعتبارها كانت موجّهة ضدّ الديكتاتورية!

إضاءة

كلانا أهلٌ للآخر والألمُ نصيبنا جميعاً

وحشة الفقد وعبث الطّرق

نحن الذين نتابع مجريات الأحداث والسياسة الدولية عن بُعد، فتنعقدُ السنتنا حين نرى اجدر اهلنا بالحياة في غزّة ولبنان يحكُم عليهم بالإبادة

عاطف الشاعر

كثيرون منّا أصبحوا يقولون إنه ليس بمقدورهم مشاهدة الأخبار، وخصوصاً تلك التي تتوالى بالمصائب والأحداث المأساوية التي تتسبّبُ بها الصهيونية العالمية لأهل غزّة ولبنان. يطفحُ التلفاز بمناظر مؤلمة لنساء وأطفال وشباب وشيوخ وقد استفحل الهمّ والحزن في أرواحهم، فتراهم يبكون وينهارون، وخصوصاً مع غياب الآفاق بأيّ انفراجةٍ مُمكنة. وملامح وجوه أهل غزّة تفيضُ بعمقِ الألم الذي حلّ بهم. فما يجري هناك هو بلا شكّ «أمّ النكبات».

فقد تحوّلت الحياة إلى بحث مُضنٍ عن كلّ شيءٍ من أجل البقاء والحفاظ على النفْس وسط استمرار الموت والدمار الشديدَين، بحثٌ عن الماء والطعام، والرضا بأقلّ القليل من فُتات الحياة القاسية. تتحمّل في هذا الأمّهات والآباء هموماً لا تقوى الجبال على حملها، فيُكابدون من أجل توفير ما يُمكن توفيره في بيئة شحيحة ومعدومة كهذه لكي يبقى أهلُهم وأطفالهم أحياء، فعسى أن تأتي أيام أفضل وحياة تستحقّ لفظة الحياة.

وأكثرُ ما يُؤلم هو الفقد. الفقدُ يوحي بالغياب، وقطع الصلة مع الأحياء الأحبّة. وفي هذا ذروة المأساة، ففيه وقفٌ للذكريات والودّ الدفين الذي يبعثُ الطمأنينة والسكينة والعون والسند وإمكانية البناء والتطوّر في المستقبل. فقد مثّل هذا هو مجرّزة بحقّ الزمن والحقّ في الحياة والمستقبل.

رأيتُ امرأة عادت للتوّ من السوق في مُخيّم الشاطئ شمالي القطاع، وهو حيٌّ يتعرّضُ لإبادةٍ صهيونية ممنهجة يسقطُ خلالها المئات من الناس قتلى وجرحى، ومَنْ يُجرَح فهو في حالة خطر شديد وتهديد بالموت في ظلّ غياب العلاج والدواء. عادت تلك المرأة الفلسطينية من غزّة ذات الوجه النضر والطلّة البريئة وقد وجدتْ كل عائلتها «عائلة شبات»، من زوجها إلى أطفالها، قد أُبيدوا واستُشهدوا إثرَ آخر قصف صهيوني على أهلها واحيّتها. راحتْ تلك المرأة المعذّبة بهذا الفقد الموحش الكبير تصرخُ وتصرخ، يكادُ جسدها المعذّب يطيرُ إلى السماء، يستنجدُ الأرض ألّا يكون الواقع حقيقة. لا أعتقد أنّ هناك لغة أو أي شيءٍ قد يعبّرُ عن هذا الفقد المدوّي، وقد تجرّعتْ مرارته الآفُ النساء والأطفال والرجال في غزّة، وفي لبنان أيضاً. إنّه فقدٌ يسلب الروح أيّ معنى للبقاء. يحتضنُ الأحبّةُ أحبّتهم وهُم في أكفانهم على الأرض، وتفيضُ أرواحهم بالدموع وتنهالك أجسادهم بالحسرات، وتتعمّقُ في وجومهم ملامح الفاجعة.

أما نحن الذين نُشاهد ونتابع مُجريات الأحداث والسياسة الدولية فتنعقدُ السنتنا، وتتحلّلُ قريحتنا حزناً حين نرى أجمل الناس وألطفهم وأجدرهم بالحياة يُحكم عليهم بالموت والدّمار بلا هوادةٍ، وباقسى أشكاله قصفاً وجرحاً وجوعاً وعطشاً وهمّاً، بينما الفضاءات التي نعيشُ فيها تعجُّ بالتواطؤ المُخزي مع أحقر الأيديولوجيات وأكثرها خِسّة ودناءة، أو الصمت المريب أمام أكبر فاجعة في القرن الواحد والعشرين. نتسائل في قرارة أنفسنا إن كنّا بشراً، ونتناقل معنى أن نكونَ كذلك في ظلّ مهلكة كهذه، وإن كانت ذاكرتنا ستشفي من هذا الفقد الأليم المُتكرّر، وإنْ كانت إنسانيّتنا ستحيا أبداً بلا شقاء وبلا تلوّث رهيب بعد كلّ هذه المشاهد والمشاعر المؤلمة التي تعتصرنا وتؤثّرُ بلا شكّ على سلامة عقولنا وخيالاتنا وقدراتنا. نحنُ المتفرّجون لسنا ضحايا كما أهلنا هناك، أهلنا في غزّة والضفّة ولبنان، فهؤلاء من ضاقت عليهم الأرض وفاضت بدمائهم البريئة. نحنُ أقاربُ لهم، وكلانا أهلٌ للآخر. الفقدُ نصيبنا جميعاً، وفي هذا الفقد ما يجعلنا نتفقّدُ كينونتنا بصفتنا بشراً لا نرضى لإنفسنا ما لا نرضاه لهم. إذن هو الفقد. وجعٌ لا حدّ لما فيه من ألم ومن مُساءلة للنفس عن مالآتها أمام أقسى التعاسات في القدر واشدّها مرارة في الأيام.

وأختُم بما دوّنته بنت أخي المُمرّضة الفيسبوكية، وهي روحٌ تستنطقُ الألم الضّارب في أرواح أهلِ غزّة الأبطال المساكين: «أنت حيثُ الآن والماضي والحاضر واقفٌ وخلفك طريقٌ طويل مليء بالأشواك، قد قطعت أميالاً طويلة فيه لتكتشفَ نهايته أنك لم تصل، وتمّت إعادتُك لنقطة الصفر لتمشي طريقاً مليئاً بالخيبة، لولا استعانتك بالله لكُنتَ الأشيء المستمرّ بالانهائية والانتكيجة فقط، دون جدوى تهدرُ وقتك وصحّتك، تشعرُ كأنّك آلة الزمن، صُنعت فقط لتركض وتركض وتركض لا وقت لها للوقوف، وقوفُك موتك. نحن الآن نعيش الأمرّين، لا عيشاً كريماً ولا سبيلاً».

وأضافت: «الجوع يصرخ من كلّ مكان، الناس عُراة لا حول لهُم ولا قوّة غير الله، كلّ شيء أمامك مُخادع، كلّ شيء غير منطقي لا أساس له من الإنسانية. نحن نقهر الموت ليس القبر فقط. الموت أن ترى نفسك في البقعة نفسها رغم كلّ السعي. أنت هنا في الخيمة اللعينة. تهزمك الذكريات والحنين. افتح عينيك، سقفُك مكسور ومهترئ، تعيش مع الفئران وكأنها جزءٌ من العائلة. طعم الرمل مالوف، فانت - لا شكّ - تعيش فيه وعليه ومنه. أنت الأشياء، اللاانهائية، الوجع المستمرّ، كافح وقاوم لا أعرف كيف ولكن حاول».

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

رجل يسير بين أنقاض بيته المدمّر إثر غارة صهيونية، 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024 (Getty)

قصائد

زهرةٌ على الأسفلت أحرَجت أصفاد الحديد

بلاد تبتعد وأُخرى تفتح ذراعيها

مبين خشاني

كامنٌ*

هَلْ تَعْرِفُونَ
أينَ أجْعَلُ مَكانٍ
لِمُشاهَدَةِ الغُروبِ في «كامِنٍ»؟
إنَّهُ في عَيْنِ الغَريبِ
حينَ يَقِفُ مُتأمّلاً نِهايَةَ النَّهارِ
فتَنْزِلُ دَمْعَتُه بلَونِ الشَّفَقِ
ويَسْأَلُ بالمائيةِ ضَعيفة:
هَلْ يَحِقُّ القَولُ إنَّها دِيَاري؟

* كامن: البلدة الألبانية التي أعيش فيها

نجاة

هل تركتُ حياتي خلفي
أم نجوتُ بها؟
لا أدري ولكنّي أرقبُ الآنَ سماءً تتلوّن
وأدرك أنّ ما تخبو خلفَ الغيومِ
شمسٌ مشرقةٌ
تتارجحُ بين بلادٍ تبتعدُ
وأخرى تفتحُ ذراعيها،
الفرقُ بينهما هو درجةُ العناق.

الأمل... بلغة أجنبية

صباح الخير،
هذهِ المرّة أعنيها.
واقفاً أمامَ مرآتي،
أقولُ لنفسي: صباحُ الخير.
صباحٌ سانسى فيهِ أعمقَ جروحي
لو لعقةُ لسانٌ شمسٍ جديدةٍ.
صباحٌ سانسى فيهِ هَولَ خطواتِ الهروب
لو مسّدَ قدميّ عشبُ الحديقةِ الجديدة.
صباحٌ ساختارُ فيهِ جهةَ اليوم
وأسيرُ معَ الطفِ الغيومِ إليها.
صباحٌ لنْ أخشى أن يكونَ آخرَ صباحٍ لي.
صباحٌ لن أتذكّرَ فيهِ عطشَ عينيّ وجُوعَهما.
صباحٌ سامنعُ فيهِ عن قلبي الكآبة
واسمحُ أن تسندَهُ وردةٌ.
صباحٌ ساتجنّبُ فيهِ لغةَ مشاعري الأمّ.
سانسى الخطرَ والخوفَ والحزنَ والأسى
والرّوعَ والذّعرَ والفزعَ والقهرَ والكمدَ والغمَّ
والشّجنَ والحسرةَ والحُرقة.
صباحٌ سانسى فيهِ ما يربطُ لساني
وأحاولُ تهجئةَ الأملِ بلغةٍ أجنبيةٍ.
ولكنْ
هل ساكونُ بعدَ ذلكَ الشخصِ نفسهُ؟

ابتسامة من خلف الجدار

أخبروني أنّ الشمس
ما زالتْ تشرقُ عَلى جَبينٍ حُرّ
وأنّ قمرَ الليالي الصّعبةِ
يستمعُ لنبضاتِ الضّمير...
أخبروني أنّ زهرةً على الأسفلت
أحرَجَت أصفادَ الحديد
وأنّ نُورَ الظالمِ قلقٌ
وقلبه خائف...
أخبروني فقط
وسوفَ أبتسمُ مِنْ خَلفِ الجدار.

(شاعر من العراق)

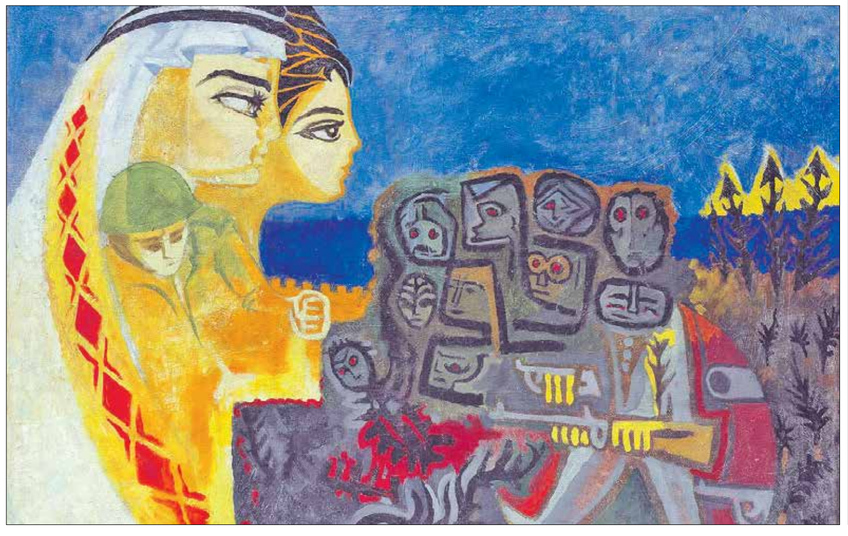
عمل للتشكيلي السوري نعيم إسماعيل (1930 - 1979)، زيت على قماش، 70 × 90 سم

فعاليات

محاربة المحو: الإرشفة ضدّ الإبادة الجماعية في غزّة والحرب على لبنان

عنوان جلسة تنظّمها «مكتبة قطر الوطنية» عند العاشرة من صباح السبت المقبل، بمشاركة أكاديميّين وباحثين وأخصّائيّي مكتبات وارشيفات يقودون مشروع «محاربة المحو» لحماية الذاكرة والتاريخ والتراث الفلسطيني واللبناني ضدّ المحو والإبادة الجماعية.

تحت عنوان **صمتٌ بين غناء وغناء**، تُقيم «دارة الفنون» في جبل عمّان بالاردن، ابتداءً من غدٍ وعلى مدار ثلاثة ايام، جلسات قراءة وكتابة من **تيسير نور البشوتي** و**ادريان شندلر**. تستند الجلسات الى مشروع بحث جماعي للفنّانَين، يستكشف لغات المقاومة في النصوص والاغاني والرسائل الشخصية التي يُمكن العثور عليها خارج النصوص الادبية الفلسطينية المعروفة.

في ذكرى رحيلها العاشرة (1946 - 2014)، يُقيم «المركز القومي للترجمة» في القاهرة، في الثلاثين من الشهر الجاري، مؤتمراً علمياً بعنوان **رضوى عاشور وهرمنيوطيقا الترجمة**. يتناول المؤتمر الاوجه المتعدّدة للترجمة في تجربة الكاتبة المصرية الراحلة؛ سواء ما تُرجم من اعمالها الى لغات مختلفة، او ما ترجمته هي من نصوص ادبية.

تحتضن «مدينة العلوم» في تونس العاصمة، يومَي 29 و30 تشرين الأوّل/ نوفمبر الجاري، فعاليات الدورة الرابعة من **معرض الكتاب العلمي والرقمي**. تتضمّن التظاهرة عرض افلام وثائقية واقامة ورشات في اختصاصات مختلفة؛ مثل الواقع المعزّز، والقراءة والرسم للاطفال، الى جانب اطلاق عدد من التطبيقات والكتب الرقمية.